جريدة السياسة الكويتية
الثلاثاء ١٩/٤/١٩٨٨

الفنان مصطفى فروخ في ذكراه الحادية والثلاثين

هذا المتعدد المواهب الذي صور كل ماوقع تحت عينيه لكنه أبدا لم يكن أسير الموضوع

□ الفنان مصطفى فروخ بريشته ـ ١٩٥٣ □

□ هاهنا قاعدون ـ بريشة مصطفى فروخ ١٩٣٢ □

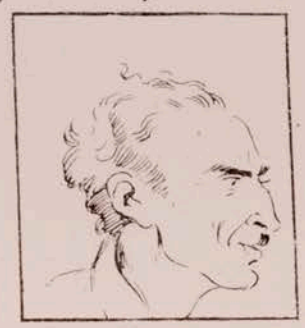

□ الشاعر الجواهري بريشة فروخ □

□ الشاعر احمد الصافي النجفي □

بقلم : د. احمد عسيلي

هذا هو الجزء الثاني من الدراسة التحليلية القيمة التي كتبها للسياسة الدكتور احمد خليل عسيلي استاذ الرسم الفني وتكنولوجيا التصوير في معهد الفنون الجميلة بالجامعة اللبنانية .

فروخ : المواهب ، الموضوعات والمكانة التاريخية

في الحلقة السابقة ، وفي مقدمة حديثنا عن الفن التصويري عند الفنان اللبناني مصطفى فروخ : استعرضنا بايجاز القضايا الجمالية التالية

ـ بعض مشكلات الكتابة الجمالية والنقد الفني العربي المعاصر .

ـ اسباب التقصير الإعلامي تجاه رواد التصوير العربي المعاصر في لبنان ، سوريا ، العراق ومصر ، الذين ظهروا في النصف الاول من القرن العشرين ، وهي المرحلة الهامة التي تحدث عنها المستشرق الفرنسي جاك بيرك في كتابه « العرب بين الامس واليوم » ، والتي وصفها بانها « مرحلة المعركة من اجل الاستقلال سياسيا ، وبروز الجماعة المتحولة ماديا واجتماعيا ، وبانها مرحلة تجديد الحساسية جماليا » .

من جهتنا كنا قد استعرضنا ايضا في الحلقة السابقة ، ظروف تجديد الحساسية الجمالية في التصوير اللبناني المعاصر ، واستقلالها عن الحساسية الغربية المماثلة . كما استعرضنا ، بخط متواز ، مراحل حياة مصطفى فروخ ، ومراحل تطور فنه في هذه الحلقة الثانية والاخيرة ، المخصصة لهذا الفنان ، نستعرض القضايا الرئيسية التالية

ـ مكانته في تاريخ التصوير المعاصر في لبنان

ـ الموضوعات الفنية التي عالجها .

ـ مواهبه التصويرية والكتابية المتعددة ، وذلك في اطار من الحديث عن فروخ الرحالة .

فروخ والتصوير المعاصر في لبنان

١٨٠٠ ـ ١٩٠٠

لعل فناننا (كمشروع مؤرخ فن) ، من اوائل الذين حاولوا توثيق الحركة الفنية المعاصرة في لبنان ـ ففي كتابه « الفن والحياة » ، ذكر فروخ اسماء فنانين لبنانيين ، وظروف ظهورهم منذ بدايات القرن التاسع عشر ، منهم : عبد الله زاخر ، كنعان ديب ، الراهب يوسف سمعان ، ابراهيم سرسق ، الذي ترك لوحة كبيرة تصف زيارة غليوم الثاني امبراطور المانيا لبيروت . وذكر فروخ ايضا فنانين لبنانيين آخرين منهم علي الجمال ، البيروتي ، ...

في الواقع معظم اللوحات اللبنانية العائدة لمرحلة القرن ١٩ لا يعرف لها قرار حتى الآن ... فهل اندثرت بفعل الحوادث التي مرت انذاك على لبنان ، كما يحصل جزئيا هذه الايام ... ؟؟

لذلك ، فإن من الصعب اعطاء وصف تشكيلي دقيق لتلك الاعمال ، وان كان يسود الاعتقاد في أوساط النقاد هنا ، ان هذه الاعمال الفنية انما تعتبر فرعا من اسلوب التصوير العثماني الحديث المتاثر بالتصوير الاستشراقي الغربي ، خاصة وان عددا من المصورين اللبنانيين كانوا ضباطا في الجيش العثماني ، درسوا كموشوبين الرسم والتصوير في مدارس اسطمبول المتغربة ، اثناء تاديتهم الخدمة العسكرية

وبعودتهم الى لبنان فقد ساهموا بنشر هذا الاسلوب طوال القرن ١٩ .

اجيال الفنانين في لبنان

ومن جهة ثانية ، لا يمكننا تصنيف هؤلاء الفنانين المنسيين وفق اجيال محددة ، وذلك لقلة عددهم وتشتتهم ، ولندرة المصادر والمراجع او لفقدانها . وهكذا ، فالترتيب وفق اجيال (الجيل مابين ١٥ و ٢٥ سنة) بالنسبة للفنانين اللبنانيين ، يمكن ان يبدأ في الربع الاخير من القرن ١٩ .

وبالنسبة الى مصطفى فروخ ، فان ريادته في سعيه لتاسيس مدرسة لبنانية عربية معاصرة في التصوير ، لم تتحقق هنا على المستوى التاريخي ، بل على المستوى الجمالي . فمن الناحية التاريخية ، هو ينتمي الى الجيل الثاني ، وقد سبقه الى الساحة الفنية في لبنان فنانون كثر ، بعض هؤلاء هاجر الى الخارج امثال : حسن التنير ، سليم الحداد (الى مصر) ، محمد سعيد مرعي (الى اميركا) ، نجيب بخعازي (الى روسيا) ، موسى ايوب (الى انكلترا) جبران خليل جبران وهو اشهرهم على الاطلاق وقد هاجر الى الولايات المتحدة الاميركية واقام في بوسطن ثم في نيويورك

وبعض من سبق فروخ ايضا ، كان يعمل منعزلا في اطار الاديرة التي تحولت خاصة في القرن ١٩ الى مراكز ثقافية واجتماعية . ورغم ذلك فقد بقيت اسماء اولئك الفنانين الشعبيين الرهبان قليلة التداول

اما الفريق الثالث من الفنانين ، وهم الذين اقاموا دعائم النهضة الفنية في لبنان ، فكان مؤلفا من : داود القرم (١٨٥٢ ـ ١٩٣٠) وحبيب سرور (١٨٦٠ ـ ١٩٣٨) اللذين كانا كلاسيكيين بالمعنى الغربي للكلمة ، وخليل صليبي (١٨٧٠ ـ ١٩٢٨) المتاثر جدا مابين الرومنطيقية والانطباعية .

جمالية التصوير في لبنان مابين ١٩٠٠ و ١٩٥٠

فمن الناحية التاريخية ، ينتمي مصطفى فروخ اذن الى الجيل الثاني من الفنانين اللبنانيين . هذا الجيل يتالف بشكل اساسي من الفنانين : قيصر الجميل (١٨٩٨ ـ ١٩٥٨) عمر الانسي (١٩٠١ ـ ١٩٦٩) صليبا الدويهي (١٩١٢) ورشيد وهبي (١٩١٧) . هذا ويبدو للمؤرخ المدقق ، كما للناقد البصير ان هذا الجيل (وبتفاوت في الدرجة مابين فنان وآخر) ، قد اخذ على عاتقه مهمة ترسيخ اسس فن وطني ذو ملامح محلية وخصائص جمالية عربية في العمق . فن غير مقولب ، مرتبط دون ادنى افتعال بالتراث وبالقيم التشكيلية والجمالية الاكثر ملاءمة ، خلال الربع الثاني من القرن ٢٠ ، بالنسبة الى وطن محتل او واقع تحت الانتداب الاجنبي ، او معرض باستمرار لاعاصير الفرقة والتجزئة مثل لبنان

لقد كانت العناصر التشكيلية التي تؤكد اصالة الفنان اللبناني المنتمي الى هذا الجيل ، تنبع من محبته للارض ، للطبيعة الخلاقة المتجددة المنورة ، كما تنبع من محبته لانسان هذا الوطن ، الودود ، المعطاء ، العفوي والطيب في العمق .

وكانت تلك المفاهيم تنبع ايضا من احساسه ، بل من التصاقه بالتاريخ ، فصور الموضوعات القومية والوطنية ، صورها باياقاعات ، مبتكرات وبعلاقات مستلهمة من التراث الفني والجمالي العربي الاسلامي ، مستلهمة منه بشكل مباشر او عبر اقنية متعددة

وفي اعتقادي ان هذه المفاهيم الجمالية الراهنة ، التي تلقفتها عين الفنان ، تلقتها اذنه ، حاورها عقله ، واحتضنتها ذاكرته المشتعلة بالوطنية وبالملحوظات ... هذه المفاهيم كانت هي خالقة الاساليب والتقنيات الخطية واللونية التي استخدمها فروخ ورفاقه واترابهم العرب الآخرون . هذه المفاهيم وتلك الاساليب التي يمكننا ، اذا شئنا المقاربة لا المقارنة ، بمكننا تقريبها الى تيارات كانت قد نشات في اوروبا خلال النصف الثاني من القرن ١٩ ، واستمرت بعده ، وهي

تيارات الواقعية ، الرومنطقية ، الانطباعية والرمزية . فيمكن الحديث عن مقاربة لا مطابقة بين التيارات اللبنانية ـ العربية وبين مثيلتها الغربية . وبالتالي لا يجوز الحديث عن تبعية الاولى للثانية بل عن استلهام واستفادة وهضم واخراج جديد ، وهي حق مشروع ومطلوب من الفنان .

اذن فالفنان اللبناني من الجيل الثاني ، عندما كان منهمكا في معالجة لوحة ما ، زيتية كانت ام مائية ، لم يكن ليضع نصب عينيه لائحة بالتعليمات او الوصايا الاوروبية ، وصايا ذات طابع واقعي ، واخرى رومنطقية وثالثة ذات جرس انطباعي ، يراجعها الفنان كل لحظة ، يحفظها غيبا ، محاولا تطبيقها ، لينال بركة الفن الصحيح او الرضى من اي ناقد كان ، وماكان اندرهم انذاك ! ! وانما الفنان اللبناني من الجيل الثاني مابين ١٩٢٥ و ١٩٥٠ ، كان يصور مدفوعا اولا واخيرا بالمفاهيم المذكورة ذات المنبع الذاتي ، المحلي والعربي والعمق الاجتماعي النفسي ، ناهلا اولا باول مايتيسر له من ثقافة فنية ، وكان يصور ايضا بمقدار ماتطاوعه يده المكتسبة مع الايام مهارة ومرونة متزايدة ، فنان تلك المرحلة كان يعرف نوعية الجرعات الجمالية التي يحتاجها مجتمع ذلك الزمن . لقد كان الحماس الوطني والعربي العام كبيرا عشية استقلال لبنان عام ١٩٤٣ ، كذلك كان الحماس الفني والمبادرة الابداعية .

الموضوعات التشكيلية الفروخية

رغم المرض العضال الذي قهره باكرا (١٩٥٧) : الا انه يمكن القول ان مصطفى فروخ ، هذا المتعدد المواهب ، قد حقق خلال عمره القصير كل ماكان بامكانه تحقيقه من انجازات تشكيلية ، جمالية ، على صعيد الفكر التربوي والنقد الفني ، وكل ماهو ملائم للعصر الذي عاشه .

الموضوعات التي عالجها هذا الفنان ، كانت شديدة التنوع . فقد صور كل ماوقع تحت عينيه . لكن صوره بذهنية الخبير الذي ينتقي من العناصر مايصلح منها للتاليف الفني والضرورات التشكيل . ولضرورات التشكيل . وهكذا فان فروخ ، وبشكل عام ، لم يكن أسير الموضوع ، بل العكس صحيح . فقد تحكم الى حد ما كمؤلف خطوط واشكال واوضاع ، تحكم بالمنظر الواقعي كما بالمنظر الذي يضم مجموعة من البشر والعناصر الطبيعية

ومن الموضوعات ذات الطابع القومي والوطني التي صورها فروخ نذكر هنا جدارية « الخليفة يدشن الاسطول العربي في المتوسط » . هذه الجدارية ـ المفقودة الآن ـ اشترك بها مصطفى فروخ في معرض نيويورك الدولي عام ١٩٣٩ . هذا المعرض العالمي الذي كان مخصصا لابراز الطابع القومي والوطني للامم والشعوب ، في هذا العمل الملحمي ، وفي الكثير غيره ، يزاوج فروخ كتشكيلي بارع مابين دقة الخطوط والمساحات المعبرة (مثل استدارات الفن وتلويح البيارق العربية ...) ومابين القوة المتدفقة في وقفة الجند العرب البحارة الذين حولوا ، ذات يوم ، البحر الابيض المتوسط الى بحيرة عربية

وثمة جدارية اخرى هي « الوحدة الوطنية » . الانسان هنا اكثر تواضعا وقناعة ففي الصحن الفسيح لقصر بيت الدين التاريخي ، ذو الهندسة العربية الاسلامية العريقة ، صور فروخ رجالات يرمز كل منها الى العائلات الروحية التي يتكون منها لبنان كوطن . عن هذا العمل يقول فروخ نفسه في كتاب « الفن والحياة » : « لقد صهرهم الوطن في بوتقة ، فاذا هم موحدون بعد تفرقة واحياء بعد بعض . واخيرا هم لبنانيون ... » بعد خمسين عاما تبقى رسالة هذه الجدارية حية وصالحة لايامنا هذه ، كما هي تصلح لكل وطن في كل زمن . لقد صور فروخ هنا مفهوما اكثر مما صور اشخاصا

فروخ بين الحل والترحال

فروخ المحب للاستقرار كان يكره القعود ويتمرد على السكون حريص على الابحاء به في لوحاته . لقد صور هذا الفنان المثابر الطبيعة اللبنانية النموذجية ، مرتحلا ، دارعا لبنان من اقصاه الى اقصاه . وله في ذلك قصص وطرائف . لقد صور المسجد والدير ، والجبل والوادي والسهل ، صور القصر والكوخ ، كما صور البيت القروي الذي يوحي بالعيش الهنيء

موضوعات الطبيعة الصامتة المفضلة لديه كانت الفاكهة المحلية ، الاواني والسلال التي تحمل ملامح البيئة اللبنانية

موضوعات المراة ، عالجها الفنان بكثير من الحساسية ، الرهافة والمسؤولية ، فلم يبتذل فالمراة عنده اما مصلية او قارئة ذات ملامح وطموحات عربية مميزة جدا . وفروخ هكذا ، في هذا الاتجاه يشارك على طريقته قاسم امين في حملته بحثا عن حرية المراة . وفروخ يرى ان هذه الحرية للمراة تكمن اولا واخيرا بين دفتي كتاب المستقبل

لكن هذه الجدية في تناول موضوعات المراة ، لم تمنعه من تصويرها في احدى اجل حالاتها . فمنح المراة وانوثتها لكن كما قلنا دون ابتذال

الساحر المتحري

والى ذلك كله ، ثمة اتجاه نحو الرسم الكاريكاتوري التعبيري انفرد به فروخ بين معاصري رفاقه . فهو ان رسم بالقلم الرصاص او بالحبر الصيني فقط ، فانت تراه قادرا على ابراز الوان النفس واحوال الناس والكتاب ، وجوه العصر ، يضم الى مقدمته ، العشرات من اللوحات الكاريكاتورية والرسوم الواقعية

□ لوحة الخليفة يدشن الاسطول □

رحلات في كل الاتجاهات

واذن فالرحلات الفروخية متعددة المستويات والاتجاهات

ـ فمن رحلة الى عمق الذات والمجتمع ، تجسدت رواية واقعية رمزية في كتابه « قصة انسان من لبنان » ، وتجسدت مشاهدات موضوعية وآراء في النقد الفني والاجتماعي كما عكسها كتابه « طريقي الى الفن » .

والكتابين عبارة عن سيرة حياته وسيرة فنه رواهما معا كوجهين لشيء واحد .

ـ الى رحلة باتجاه المجتمع ، حدثه عبرها عن الفن كضرورة وعن العلاقات القائمة بينه وبين الدين والقومية والتربية الوطنية والاجتماعية . وقد تم ذلك عبر سلسلة محاضرات القاها بنفسه ، وعبر كتابه « الفن والحياة » الذي صدر ، عشر سنوات بعد وفاته .

الحج الى الاندلس

ـ اما النوع الآخر من السياحة ، فهو لا يقل روعة ، وقد تظهر في مجالين

الاول : سياحة فكرية تتدرج في ادب الرحلات . فتوج فيه فروخ بمقدرة فائقة بين معطيات الجغرافيا ، التاريخ ، التراث ، الثقافة والجماليات العربية الاسلامية ، اثر زيارته الدراسية الى اسبانيا صيف عام ١٩٣٠ . هذه البلاد التي كان من حظها ان فتحها العرب وبنوا مجد حضارتها ، بانسانية عز نظيرها ، طوال ثمانية قرون . من هذه الرحلة المتسعة ، خرج فروخ بكتابه « رحلة الى بلاد المجد المفقود » ، الذي كتبه الفنان بعصارة قلبه وروحه . وقد ضمنه كتشكيلي وكمثقف عربي نهضوي ، خلاصة آرائه في الفن الغربي الحديث ايضا ، الاندلسي ، وفي الفن الغربي الحديث ايضا ، واصفا ، محللا ، مدققا ، مقارنا ومستنتجا . هذا الكتاب الفروخي ، استحوذ على اعجاب المستشرق هنري بيريس . وقد وصفه في كتابه « اسبانيا في نظر الرحالة المسلمين » قائلا : « ان ثقافة مصطفى فروخ الفنية ، والتي استفادها اثناء دراساته في روما وباريس ، قد قادته الى التعمير عن انطباعات جعلت لكتابه (رحلة الى بلاد المجد المفقود) جرسا جديدا حقا في ادب الرحلات » .

المجال الثاني من رحلته الى اسبانيا فقد كان تشكيليا . فقد ابدعت ريشة فروخ العديد من الدراسات الخطية واللونية ، لعل ابرزها اللوحات المائية العشرة ، التي كشف النقاب عنها للمرة الاولى في مطلع العام الحالي ، بعد مايقرب من ستين عاما على تصويرها .

اما الموضوعات العشرة فقد تمحورت هنا حول : مدخل ، محراب وغابة الاعمدة في جامع قرطبة ، باب العدل ، بوابة المقر الملكي ، ساحة الاسود والجناتن في قصر الحمراء ، بوابة مدينة طليطلة واخيرا باحة قصر الزهراء في اشبيلية .

على صعيد الاسلوب ، هذه الاعمال نفذها فروخ بذهنية تصويرية ـ تجريدية وبالوان مائية انطباعية ذات منحى صوفي بالغ الرقة والشفافية